السيميائية ومصطلحاتها عند الناقد بسام قطوس

Semiotics and terminology when critic Bassam Qattous

الدكتور : عمر عليوي

جامعة المسيلة

amar.alioui@univ-msila.dz

الملخص:

شكلت مرحلة ما بعد الحداثة علامة فارقة على مستوى الفكر الفلسفي والنقدي، إذ ظهرت رؤى نقدية على أنقاض البنيوية، وأعادت الاعتبار للمؤلف والقارئ والسياق الخارجي، وإذا كان للنقاد الغربيون السبق في التنظير لهذه المناهج، والتحكم في ناصية مناهجها بحكم أنها وليدة بيئتهم، فإن النقاد العرب ما عرفوا هذه المناهج كالتفكيك، والتقويض، والتأويل، والتشريح، إلا في مرحلة متأخرة، بعد عملية الترجمة والاحتكاك اللغوي والثقافي، وهذا ما احدث جدلا على مستوى المصطلحات، والمفاهيم، وأحيانا اختلافا ملحوظا وسأحاول في هذا المقال عرض إشكالية السيميائية ومصطلحاتها عند الغرب وعند العرب ثم مقارنتها بما جاء به الناقد العربي بسام قطوس.

الكلمات المفتاحية:

السيميائية . التأويل . التلقي . الثقافة . النقد .

Résumé:

La phase postmoderne a marqué une étape importante au niveau de la pensée philosophique et critique, car des idées critiques ont émergé sur les ruines du structuralisme, et elles ont redonné de la considération à l'auteur, au lecteur et au contexte externe, et si les critiques occidentaux avaient un précédent dans la théorisation de ces approches et le contrôle du coin de leurs programmes en raison de l'origine de leur environnement, les critiques arabes ne l'ont pas fait. Ils connaissaient ces approches comme dissociation, fragilisation, interprétation et anatomie, sauf à un stade ultérieur, après le processus de traduction et de friction linguistique et culturelle, ce qui a suscité une controverse au niveau des termes, des concepts et parfois des différences notables. Seigneur et les Arabes, puis comparez-les à ce qu'a dit le critique arabe Bassam Qattus.

les mots clés:

Sémiotique. Interprétation. Recevez. Culture. critique littéraire.

السيميائية لغة مشتقة من الفعل سام الذي هو مقلوب وسم التي تعني العلامة ووردت في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: قال تعالى:« **تَعْرِفُهُمْ بسمَاههمْ لا يَسْأَلُون النَّاسَ الْحَافًا** [1]». وقوله أيضا: « **وَبَيْنَهُمَا حجَابُ وَعَلى الأعْرَاف رجَالُ يُعْرَفُونَ كُلاًبيسمَاههم**[2]».

اصطلاحا: هو المنهج الذي يهتم بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية في النص دراسة منظمة وينطلق من التركيز على العلاقة بين الدال والمدلول والمرجع.[3]

السميولوجيا: هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها واصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة، وهكذا فإن السميولوجيا هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في الكون ويدرس توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية.[4]

وقد تعددت المصطلحات وهذا حسب التسمية السميائية والسميولوجيا، السيميوتيك، والسبب في هذا التعدد يرجع إلى تعدد الروافد الثقافية المختلفة.

أ-السميائية عند الغرب والعرب:

أولا: عند الغرب:

وقد تحدد في أربعة اتجاهات (الاتجاه الأمريكي، والاتجاه الفرنسي، الاتجاه الروسي، والاتجاه الإيطالي) ومن أشهر أعلام السميولوجيا الغرب نجد **تشارلسساندرز بيرس**(**1839-1914**) **SandrsPirs** ورولان بارت **Roland Barthes وغريماس ورومان جاكبسون. وامبير توايكوا، مايكل ريفاتيرا، وجوليا كريستيفا Julia Kristeva**. ولكن الفيلسوف الأمريكي بيرس هو أهم مؤسس هذا الطرح. وقد عرض نظرية سميولوجية عامة في التقعيد، ونظرية للعلامة وفاعلية وظائفها الدلالية لا تختلف عن الطرح البنيوي الالسني إذ يرى أن العلامات حسية أو غير حسية تنقسم إلى دوال ومداليل وعلاقات تربطها معا فهو يبحث عن القانون المنظم الذي يحكم حركة هذه العلاقات.[5]

ثانيا: عند العرب:

انتقلت إلى الوطن العربي خلال الثمانينات ومن بين الأقلام التي أسهمت في هذا الحقل نذكر على سبيل المثال لا الحصر(**محمد مفتاح، وعبد الفتاح كليطو، ومحمد الماكري، والسعيد بلكراد، وعلي العيش، وسمير المرزوقي، وعبد المالك مرتاض، وعبد الحميد بورايوا، ورشيد بن شمالك وعبد الله الغذامي**).[6]

إلا أن من حيث المصطلح نجد النقاد لا يتفقون على مصطلح معين، فمنهم **صلاح فضل** رفض المصطلح وتبعه **الغذامي** وذلك من خلال المصطلح المعرب سمياء وفضلا عن المصطلح الأجنبي السميولوجيا في حين أيد **عادل فاخوري** التسمية العربية سمياء وعموما أدى هذا القلق أو الاضطراب إلى رفض هذه النظريات، أو صعوبة تقبلها أو مهاجمتها نظرا لتعدد اتجاهاتها.

ب- مجالات واتجاهات السميولوجيا:

1-سميولوجيا دي سوسير: F. De Saussure

يمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، حيث أولاها اهتماما كبيرا وجعلها تشمل في طياتها على اللسانيات، وعدها علما للعلامات يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية وعد العلامة محور مشروعه السميولوجي، وقد حصرها في ثنائية قائمة الدال **Signfier** أي الصورة الصوتية الحسية التي تحدثها في دماغ المستمع صورة ذهنية أو فكرة. أما الثاني فهو المدلول **Signfied** وكلاهما ذو طبيعة نفسية: ويشبههم بالعملة الواحدة (وهي لعملة واحدة) ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. فالعلاقة بين الدال والمدلولئش علاقة اعتباطية بأنها لا ترتبط بواقع لان ليس لها صلة طبيعية بالمدلول.[7]

2-سيميوطيقا بيرس:Sandres Pirs

لقد عمل **بيرس** على الربط بين المنطق والسيميوطيقا فليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر لسيميوطيقاوالسميوطيقا نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات فالعلامة عند **بيرس** هي كيان ثلاثي المبنى ويتكون من:

الصورةBeresentamen: تقابل الدال عند **دي سوسير**.

المفسرةIntarprétant: تقابل المدلول عند **دي سوسير**.

الموضوع Objet :لايوجد له مقابل عند **دي سوسير**.

وقد توصل **بيرس** إلى اكتشاف ثلاث أنواع من العلامة هي:

-الأيقونة Icone: هي علامة تحيل إلى الشيء وتقوم على علاقة التشابه بينه وبين ما يدل عليه ومثال ذلك الصور الفوتوغرافية والصور التمثيلية الشخصية.

-المؤثر Index:هو علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع، وقد استعار **بيرس** المؤشر من أسبابه التي تشير إلى الشيء.[8]

-الرمز Symbole: علامة تحيل إلى الشيء الذي يشير إليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على تداعي بين أفكار عامة وذلك أن العلاقة بين الرمز وما يدل عليه تستمد إلى العرف الاجتماعي ومثال ذلك اللون الأبيض وغصن الزيتون فهما يمثلان رمزا للسلام.[9]

3-سميولوجيا التواصل:

يذهب أنصار هذا الاتجاه أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى حيث الدال والمدلول والقصد وهو يركزون في أبحاثهم على الوظيفة التواصلية.[10]

4-سميولوجيا الدلالة:

مثل هذا الاتجاه (**رولان بارت**) ويرى أصحاب هذا الاتجاه إن العلامة وحدة ثنائية المبنى (دال ومدلول) وما يميزه عن الاتجاهات الأخرى ما يجعله على النقيض من **سوسير** وهو (قلبه للاطروحةالسوسيرية) القائلة بعمومية علم العلامة.[11]

وما دامت الإنسان والوقائع كلها دالة فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللسانية.[12]

5-سميولوجيا الثقافة:

يمثل هذا الاتجاه عدد من العلماء والباحثين (السوفيات) الذين تطلق عليهم تسمية جماعة موسكو، هم يرون أن العلامة ثلاثية (الدال والمدلول والمرجع ثقافي).[13]

وأخيرا نرى أنه يوجد اتجاه حاول أن يجمع بين سمياء التواصل وسمياء الدلالة مثله **امبرتوا**، وقد طور **امبرتوا ايكو** نموذجا سميائياتصاليا بإضافته الشفرات الصغرى التي تسهم في فك شيفرات الرسالة من قبل القارئ. أي فهم الرسالة وإعادة تركيب شفرة المرسل وخلقها من جديد.[14]

ج-مصطلح السميائية عند بسام قطوس:

يرى الناقد **قطوس** أنه كان من ثمار تطور الدرس اللساني الحديث ظهور مناهج وتيارات نقدية كثيرة مثل البنيوية والأسلوبية والسيميائية.

والسيميائية أو **السيمائية** أو **السيميولوجيا** أو **السيميوطيقا** أو علم الإشارة أو علم العلامات أو علم الأدلة.....الخ. ترجمات وتعريفات تطول لعلم واحد بمصطلحين شائعين هما: (**Semiology**) من (**Semion**) اليونانية، حسب العالم اللغوي السويسري **فرديناندي سوسير** (1856-1913)أو (**Semiotics**) حسب العالم والفيلسوف الأمريكي **شارلساندرس بيرس** (1838-1914).

ثم يذكر جهود النقاد الغربيين يقول: وقد أسهم في وجود هذا العلم عدد من العلماء والفلاسفة والنقاد. فإذا طلبت السيميائية بوصفها علما، فان عليك أن تشير إلى **فرديناند ديسوسير، وشارل موريس Ch-Moris**. وإذا أردتها منهجا نقديا وإستراتيجية مطورة في قراءة الخطابات الإبداعية قراءة سيميائية، أو قراءة النص بوصفه ممارسة دالة. كان عليك أن تذكر (**رولان بارتR-Barthes وجاك لاكان J-Laka، وجوليا كريستيفا J-Kristeva**). وإذا طلبتها في الفلسفة، فأمامك **كاسيرر Cassirer** في رمزية الأشكال. أما إذا أردت أن تبحث عنها مفهوما.فإنك واجدها سيميائيات. فثمة سيميولوجيا**سوسير**، بخلفياتها اللسانية، وسيميوطيقا **بيرس**بمرجعياتها المنطقية والرياضية والظاهرية، وثمة سيمياء التواصل لدى **بريتوprieto**، ومونان**mounin**، وبويسنس**Buyssens**، وثمة سيمياء الدلالة كما عند **بارت ولاكان**، وهناك سيمياء الثقافة كما بشر بها الروسي **يوري لوتمانy lotman**، والإيطالي **امبرتوا ايكوu eco** ، وغيرهم ممن عدوا الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وانساقا دلالية.[15]

ويقول الناقد: يهمني في هذا الجانب أن أقدم تصورا مكثفا لهذا العلم، مركزا على الجانب المنهجي منه، وهو النقد الأدبي، مبتدئا بالحديث عن **دي سوسير**، أول من تكلم في هذا العلم من خلفية لسانية، وأول من توقع ميلاده وبشر به.[16]

– سيميولوجيا دي سوسير:

لقد بشر **دي سوسير** بمولد السيميولوجيا وحدد موضوعها بكل علامة دالة، وجعل اللغة جزءا من هذه العلامة الدالة، إذا أعد علم اللغة جزءا من علم السيميولوجيا العام.[17]

– سيموطيقا بيرس:

تقوم سيموطيقا**بيرس** على المنطق والظاهرانية والرياضيات، فالمنطق، بمعناه العام، علم القوانين الضرورية الموصلة إلى الصدق، يشكل **بيرس** فرعا من علم التشكيل العام للدلائل، أي: فيزيولوجيا الدلائل أو السيموطيقا.

وينظر السيميوطيقا**بيرس** بوصفها سيميوطيقا التمثيل والتواصل والدلالة في آن واحد. وهي تتسم بأبعاد ثلاثة: بعد تركيبي، وبعد دلالي، وبعد تدوالي.[18]

– سيميولوجيا الدلالة:

يبدوا أن هذا الاتجاه الذي يعزى للناقد **رولان بارت** يقترب كثيرا من حقل النقد الأدبي لعنايته بربط الدلالة باللغة، فقد ذهب بارت إلى أن السميولوجيا هي علم الدلائل، وإنما استمدت مفاهيمها من اللسانيات.[19]

–سيميولوجيا الثقافة:

وثمة اتجاهات أخرى في داخل السميائية مثل: سيميولوجيا الثقافة(**Semiology of Culture**) كما لدى جماعة موسكوا–تارتوا (**MoscoTarto**) يوري لوتمان(**Lotman.Y**)،واوسبانسكي(**Ouspensky**)، وإيفانوف(**Ivanov**)،ممن يعدون الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وانساقا دلالية، وعنى أصحاب هذا الاتجاه بدراسة الظواهر الثقافية باعتبارها عمليات تواصلية، وربطوا بين اللغة والمستويات الثقافية والاجتماعية والأيديولوجية مؤكدين أن العلاقة تتألف من دال ومدلول ومرجع ثقافي. [20]

–سيمياء التواصل (Semilogy of Communication) :

فيمثلها كل من **بريتوا، وجورج مونان،وبويسنس**، حيث لا يرون في الدليل غير كونه أداة تواصلية أو أداة قصد تواصلي، والعلاقة لدى أصحاب هذا الاتجاه تكون من وحدة ثلاثية المبنى: الدال والمدلول، ولسيمياء التواصل محوران: محور التواصل ومحور العلامة الذي يصنف العلامة في أربعة أصناف هي: الإشارة ، المؤشر، الأيقون، الرمز.[21]

ليختم الناقد هذا الجزء بخلاصة نقدية مفادها : أن الاتجاهات السيميائية قد شكلت روافد أصلية لبناء(قراءة/قراءات) سيميائية ليس للأدب فحسب بل لقراءة أنظمة علامية وإشارية أخرى، فبالإضافة إلى قراءة الأدب: شعراً ورواية ومسرحاً، والفن: رسما وموسيقا وسينما، فقد دخلت السيمياء كل دوائر الخطاب الفلسفية والدينية والفكرية، وقد امتازت الدراسات السيميائية للأدب

بحرصها على فهم العلاقة الأدبية في مستوى العلاقة الجدلية بين النص الأدبي والمجالات الثقافية والأيديولوجية ببنيتها الاقتصادية والإجتماعية.[22]

وقد توافق النقاد منهم معجب **الزهراني وعبد المالك مرتاض** فكلاهما يرجع مفهوم السيميائية إلى العلامة، واتفاقهما على موضوع دراستها أي أنظمة العلامات، وهذا دليل تعقيب على مدى تأثرهم بالداريسين الغربيين أمثال **دي سوسير، وبيرس، وغريماس** وغيرهم، وفي هذا الصدد يقول: **عبد المالك مرتاض**: (إن مفهوم السيميائية آت، كما هو معلوم من تركيب(س م و) الذي يعني، فيما يعني(العلامة) التي يعلّم بها الشيء ما كالثوب، وإنسان ما كالوشم، أو حيوان ما كما يسم القبائل العربية التي كانت تسمي إبلها، ومن هذه المادة جاء لفظ السيما بالقصر، والسّيمياء بالمد والسّيمياء).[23]

تهتم السيميائية لاستخراج طرق بناء المعنى في النصوص، وهنا الناقد بسام قطوس قد عرض الاختلاف المصطلحي لمصطلح السيميائية عند بعض النقاد الغربيين فقط، ولم يشير إلى جهود نقادنا العرب ، مثل عبد المالك مرتاض الذي يعد قطباً من اقطاب السيميائية في الوطن العربي وغيره من النقاد

بالإضافة إلى عرضه لبعض المفاهيم مثل: الأيقونة والرمز والإشارة

لكنه في الأخير لم يوجهنا توجيها سليما نحو المجال التطبيقي، فهو اكتفى بالجانب النظري فقط

3-مصطلح التلقي والتأويل:

أ-تعريف التلقي:

لغة: التلقي هو الاستقبال- كما حكاه **الازمري**- وفلان تلقى فلان أي القرآن الكريم حول هذه المادة في أنساقه التعبيرية، ولم يستخدم مادة الاستقبال في هذا المجال، بل استخدم مادة التلقي لا شرف النصوص: فيقول عز وجل: «**وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُن حَكِيم عَلِيم**».[24] وقال تعالى: «**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبه كَلِمَات فَتَابَ عَلَيْه**».[25]

فدلالة الاستعمال القرآني لمادة التلقي مع النص تنبه إلى ما قد يكون لهذه المادة من إيحاءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص، حيث ترد لفظة التلقي مرادفة أحيانا لمعنى الفهم والفطنة.[26]

اصطلاحا: يأتي التلقي ضمن أهم المقولات الجوهرية التي ميزت النظرية النقدية المعاصرة مشكلا بذلك حقلا معرفيا جديدا تساهم في إثراءه مختلف المناهج والنظريات على اعتبار أن النقد المتوجه للجمهور ليس حقلا واحدا بل عدة ميادين.

ويأخذ مفهوم التلقي الوجه المقابل لفاعلية القارئ في إنتاج المعنى عبر إستراتيجية القراءة التي تحدد هذا المعنى، وتدعوا إليه عبر منظومة شاملة من المفاهيم والاصطلاحات التي تولدت عبر حوار عميق مع المناهج النقدية.[27]

ب-**تعريف التأويل:**

-الهيرمينوطيقا: هي فن التأويل وهي تطرح نفسها في مواجهة الموضوعات التي تفترض أنها تمتلك معنى عميق، لا يمكننا إدراكه، حيث تقترح، الهيرمينوطيقا تحديد ما تريده هذه الموضوعات قوله الحقيقة.[28]

أي أن المعنى الطافي على السطح ليس هو مجال اشتغالها.

وقد ارتبط ظهور التأويل بالدراسات الدينية.

ج–مبادئ التأويل:

وهناك مجموعة ضوابط يشترط كبار المنظرين الهرمينوطيقا توفرها القراءة التأويلية هي:

1–الفرضية: وتعتبر المعرفة الأولية للنص وتعد من أبجديات الإدراك الجمالي للنص ومن دونها يستعصي النص عن الفهم وهي تنطلق من معارفنا السابقة.

2–المقصدية: وهي عنصر مهم إذ لا يمكن أن تتحدث عن تأويل ما لم نفترض سلفا قصد المؤلف بوجهة ذلك التأويل.

3– **الدائرة الهيرمينوطيقية:** وهي إدارة منهجية تتناول الكل في علاقته بأجزائه والعكس أي أن فهم المعنى الذي قصده المؤلف يعود إلى فهم النص.

4–السياق: أي النص الذي يواجه المؤول لا يمكن أن يواجهه بمعزل عن سواه من النصوص وثلاثة أنواع (السياق المقامي والنصي والتاريخي والثقافي).

5–تأويل النص لا استعماله: أي فهم النص من النص نفسه وليس من المذهب الذي تنتمي إليه.[29]

د– **مصطلح التلقي والتأويل عند بسام قطوس:**

–التلقي: لا يستطيع الباحث في الأصول الفلسفية والفكرية لجماليات التلقي أن يتجاهل ثلاثة من الفلاسفة والمفكرين الذين شكلوا الخلفية المعرفية التي استند إليها نقاد جماليات التلقي والاستقبال وهم:

1–ادموند هوسرل E–Husserl فيلسوف الظاهراتية، الذي كانت فلسفته تشكل رد فعل على الفلسفة الوضعية التي استبعدت (الذات) بوصفها مقوماً أساسياً من مقومات المعرفة .[30]

2–إنجاردن R–Ingarden تلميذ **هوسرل**، الذي عدل في مفهوم التعالي فجعله ينطوي على بنيتين إحداهما ثابتة نمطية وهي أساس الفهم عنده والأخرى متغيرة مادية تشكل الأساس الأسلوبي للعمل الأدبي.

3–جادامير H–G–Gadamer صاحب مفهوم الأفق التاريخي أو أفق التاريخ حيث استخدم **جادامير** مفهوم الأفق التاريخي في تفسير التاريخ حيث رأى أنه لا يكون ثمة تحقق خارج زمانية الكائن التي تسمح باندماج الأفق الحاضر بالأفق الماضي.[31]

مدرسة كونستانس الألمانية:

إذا كانت البنيوية في إحدى وجوهها على النص الأدبي أو البنية اللسانية الحاملة للدلالة والمنتجة لها والمكتفية بذاتها فإن أصحاب نظريات التلقي يعدون البنية اللسانية إحدى المؤشرات في فهم النص. لكن هذه البنية لابد لها أن تتغذى بمرجعيات ذاتية قائمة على الفهم من لدن القارئ.

إن أصحاب نظريات التلقي قد أعلوا من سلطة القارئ أو متلقي النص. حيث رأوا أنه لا يمكن الحديث عن النص بمعزل عن دور القارئ ومساهمته في صنعه ومن هذا نفهم لماذا مثل اتجاه نظريات القراءة أو التلقي واحداً من اتجاهات ما بعد البنيوية في نظريات النقد العالمي الحديث.[32]

لقد تأصل هذا الاتجاه النقدي الذي سمي بأسماء مختلفة منها: جمالية القراءة أو جمالية التلقي أو التقبل أو نظرية التلقي في جامعة **كونستانس Constance** في ألمانيا الاتحادية وقد برز الألمنيان **هانز روبرت ياوس H-R-Jauss** و**ولفجانغآيزر W-G-Iser** بوصفهما منظري التلقي.

ولقد سعى هذان الناقدان إلى تأصيل خطاب نقدي يهتم بالعلاقة الجدلية بين النص والقارئ ويكرس رؤية نقدية تسعى لإبراز فعالية القراءة حيث يرى **ياوس** أن المقاربات النقدية السابقة حرمت الأدب من بعد مهم يعد ملازماً لطبيعته بوصفه ظاهرة جمالية له وظيفة اجتماعية، ويعتقد بأن النص لا يملك "معنى" موضوعياً ولكنه يحتوي فقط على بعض الخصائص التي يمكن وصفها بورة موضوعية واستجابة القارئ التي تشكل بالنسبة إليه المعنى والخصائص الجمالية للنص.[33]

ويذهب **آيزر**، الذي قام بتطوير التحليل الفينومينولوجي لعملية القراءة التي اقترحها رومان **إنجاردن R-Ingarden** إلى أن النص يحتوي على عدد من الفجوات أو العناصر غير المحدودة وعلى القارئ أن يملأ هذه الفجوات ذاتياً عن طريق المشاركة الخلاقة مع ماهو معطى في النص الذي أمامه.[34]

أما العناية الحقيقية أو الاهتمام الحقيقي بالقارئ فقد بدأ واعياً بمقاصده مع العلماء الألمان في جامعة **كونستاس** الألمانية الذين عُنوا بالتنظير لجمالية التقبل **L'Eshaetiquede la reception** والكشف عن الطريقة التي يتم بها تلقي الآثار الأدبية ويعد **هانزروبرت ياوس H-R-Jauss** من أبرز أعلام هذه المدرسة والمنظر الأساسي لجمالية التقبل في كتابه الشهير الذي ترجم ب "جمالية التلقبل" أما العلم الثاني **ولفجانجايزر W-Iser** الذي تعد فلسفته تطبيقا كاملاً للفلسفة الظواهرية التي تهتم بالتأثير المتبادل بين النص والقارئ.[35]

-التلقي في النقد العربي:

تحظى نظريات القراءة أو التلقي **ReceptionTheories** بقدر كبير من الاهتمام لدى النقاد العرب المعاصرين غربيين وعرب، ولما كان النقد جهداً عالمياً وخبرة تراكمية. فقد أسهم النقاد العرب المعاصرون فيه إسهام مشاركة وتفاعل من حيث التنظير أو التطبيق أو الترجمة، وقد ألفينا أقلاماً كثيرة تبحث في القراءة والتقبل والتلقي والتأويل حيث عقدت جامعة تونس في غضون تسع سنوات ندوتين متخصصتين للقراءة والكتابة.[36]

ولعل قارئ نظرية النظم للناقد العربي **عبد القاهر الجرجاني** بتمعن وبتفحص يدرك أن الوصول إلى معنى المعنى يحتاج إلى قارئ فطن يبذل جهداً عقلياً مميزاً للوصول إلى المعنى الكامن خلف المعنى الأول. وفيه تأكيد على ذاتية الفهم والتأويل والانتباه إلى لطائف مستقاها العقل.[37]

-التأويل والهرمونيوطيقا:

بين التفسير والتأويل**Interpretation** مواطن التقاء وافتراق: فمن مواطن الالتقاء أن كليهما يسعى إلى الكشف عن معنى النص وقصدية المؤلف وإذا كان المفسر يقع على عاتقه عبء تفهم النص وإفهامه من خلال البحث عمت تعنيه الكلمات أو ظاهر اللفظ فإن المؤول لا يكتفي بذلك بل يسعى إلى تجاوز قصدية المؤلف إلى البحث عما وراء ظاهر الكلمات.

ومن هنا تبدو محدودية التفسير بإزاء اتساع التأويل، وكأن التأويل يتجاوز سلطة النص الإبلاغية ليمنحه مزيداً من حرية النظر في النصوص التي تعصى على التحديد...فالمؤول لا يقف عند مقاصد المؤلفين بسبب اعتقاده بصعوبة تحديد تلك المقاصد، وإنما يتجاوزها للبحث عما تخفي وراء الكلمات، وبهذا يمثل مفهوم القصد أو الوصول إلى القصد ركناً أساسياً من أركان التفسير، سواء أكان الخطاب المعني بالتفسير دينياً أم أدبياً أم فلسفياً.[38]

وفي تراثنا القديم نشأ مصطلح التفسير مع تفسير القرآن الكريم، فكان لدينا نوعان:

الأول: التفسير بالمأثور وكان يقصد من ورائه الوصول إلى معنى النص عن طريق

جمع الأدلة التاريخية واللغوية التي تساعد على فهم النص فهماً "موضوعياً" أي كما فهمه المعاصرون لنزول القرآن الكريم من خلال المعطيات اللغوية التي يتضمنها النص وتفهمها الجماعة.[39]

والثاني:التفسير بالرأي أو(التأويل)وقد نظر إليه على أساس أنه تفسير"غير موضوعي" لأن المفسر لا يبدأ من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية وإنما يتجاوزها بموقفه الراهن محاولاً أن يجد في النص المدروس سنداً لذلك الموقف.

وتبدو صعوبة الفصل بين التفسير والتأويل فصلاً حاداً. فالعلاقة بينهما تبدو أحياناً جدلية، إذ من غير المعقول أن تخلو كتب التفسير بالمأثور من بعض الاجتهادات بالرأي التي ترقى إلى مستوى التأويل. وإذا كان التأويل مفهوماً قديماً قدم النصوص نفسها دينية أو لغوية وقدم بدء محاولات تفسيرها وشرحها من خلال مجموعة من القواعد والمعايير التي يتبعها المفسر، فإن الهرمنيوطيقا هي نظرية تأويل النصوص. أو هي العلم الذي يبحث في آليات التأويل بيد أن الهرمنيوطيقا، منهجاً ومفهوماً وفلسفةً تطورت بعد ذلك حيث امتدت تطبيقاتها إلى دوائر أكثر اتساعا شملت حقول العلوم الإنسانية كالتاريخ والفلسفة ، والأنثرولوجيا، والنقد الأدبي وغيرها.[40]

التلقي والاستقبال هم مصطلحان يصبان في موضوع واحد، حيث يركز الأول في تاثير النص على القارئ في حين يركز الثاني على تأثير القارئعلى النص، مشكلا بذالك دائرة التأثير المتبادل مع كل من ايزروياوس

أما التأويل والتفسير هم مصطلحان يسعى كليهما إلى الكشف عن معنى النص

ويتضح عرض الناقد هنا نظريا فقط ، أكثر منه توجيها تطبيقيا. فالسيميائية تهتم بطرق بناء المعنى في النصوص، وقد عرض قطوس الاختلاف المصطلحي، وبعض المفاهيم لكنه لم يوجهنا نحو المجال التطبيقي.

أما التلقي والاستقبال مصطلحان يصبان في موضوع واحد، إما التفسير والتأويل كليهما يسعى إلى الكشف عن معنى النص.

وعرض الناقد هنا كان نظريا.

هوامش وإحالات:

[1]– سورة البقرة: الآية 273.

[2]– سورة الأعراف: الآية46.

[3]– إبراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، مرجع سابق،ص285.

[4]–لخضر العربي: المدارس النقدية المعاصرة، دار المغرب للنشر والتوزيع، وهران، (دط)، 2007م، ص89.

[5]–بتصرف: بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص120. 125. 129.

[6]– بتصرف : يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية الى الالسنية، مرجع سابق،ص133.

[7]– بتصرف: عبد الله إبراهيم وغيره: معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، مرجع سابق، ص74–75.

[8]–بتصرف: بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص120–121–122.

[9]– مرجع نفسه: ص123.

[10]–بتصرف: عبد الله إبراهيم وغيره: معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، مرجع سابق، ص84.

[11]– المرجع نفسه: ص96.

[12]– لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص162–163–164.

[13]– عبد الله إبراهيم وغيره: معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، مرجع سابق، ص106.

[14]– بسام قطوس: سمياء العنوان، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص21.

[15]– بسلم قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص 188.

[16]– المرجع نفسه، ص188.

[17]– المرجع نفسه، ص188.

[18]– بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر: مرجع سابق، ص 190.

[19]–المرجع نفسه، ص191.

[20]–المرجع نفسه، ص194.

[21]–بسلم قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق،ص195.

[22] –المرجع نفسه ، ص196.

[23] –عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010، ص157.

[24]–سورة النمل: الآية6.

[25]– سورة البقرة: الآية 37.

[26]–محمد عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي(بين المذاهب الحديثة وتراثنا النقدي)، دار الفكر العربي، (دب)، ط1، 1996م، ص13.

[27]– مفتاح محمد سعيد يقطين وآخرون: نظرية التلقي(إشكالات وتطبيقات)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، ط1، 1994م، ص13.

[28]–مفتاح محمد وسعيد يقطين وآخرون: نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، مرجع سابق، ص13.

[29]-بتصرف: المرجع نفسه، ص12-13.

[30]–بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص162.

[31]–مرجع نفسه، ص 163.

[32]–بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص164.

[33]–المرجع نفسه،ص165.

[34]–المرجع نفسه، ص166.

[35] –بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص168.

[36]–المرجع نفسه:ص170.

[37]–المرجع نفسه: ص179.

[38]–بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص201.

[39]–مرجع نفسه، ص202.

[40]–بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص203.